فلسفة هيراقليطس في الرواية الأردنية

ليلة عسل عن الرجل الذي انتهت حياته قبل أن يموت أنموذجاً

د/ عواد أحمد قاسم الدندن
جامعة اليرموك

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى اكتناه الفكر الهيراقليطي في رواية ليلة عسل، وذلك من خلال الشذرات التي تركها هيراقليطس في كتابه عن الطبيعة، وقد عمد الباحث إلى الغوص في أعماق النص والوقوف على المرجعية التي اتّكأ عليها في صياغة هذا العمل، ليصل إلى نتيجة مفادها تجذر الأثر اليوناني في الأدب العالمي، إذ حظيت الرواية نطاقاً واسعاً من هذا الأثر، وقد جاءت رواية ليلة عسل للكاتب الأردني مؤنس الرزاز أنموذجاًتطبيقياً لهذا الفكر.

الكلمات المفتاحية: ليلة عسل، مؤنس الرزاز، هيراقليطس

Abstract:

This research aims to insights into Hiraclitus thought in the novel Honey Night , and through the fragments left by Heraclitus in his book about nature, researcher intented to dive into the depths of the text and stand on the reference recline in the drafting of this work, to reach the conclusion that the radicalization of the Greek impact in world literature, as the novel has received a wide range of this effect, the honey night novel for the jordanian writer Mo'nisalrazaz came as model applied to this thought.

مقدّمة

تطورت الأنماط الروائية في العصر الحديث، ولم تعد تنحصر بالأنماط النمطية والتقليدية التي كبّلتها لفترات سابقة، وأصبح الكتّاب في بحبوحة من أمرهم، فطُرقت أساليبٌ خفية وطُرحت أساليب أخرى وذلك كلّه بفعل التطور الذي تعيشه البشرية في مناحي الحياة كافة لاسيما التكنولوجيا، وفي الأردن لم تنعزل الكتابة الروائية عن هذا التطور، بل لبّت هذه الدعوة من خلال كتّابها، إذ استطاعوا تطويع الكتابة الروائية لمتطلباته، فظهرت الأنماط الروائية الجديدة متأثرة بروح العصر وفلسفته، ومن هنا فقد تناول هذا البحث رواية ليلة عسل للكاتب الأردني مؤنس الرزاز، إذ تعد هذه الرواية أنموذجالأثر الفكر الهيراقليطي في الرواية الأردنية، أمّا الكاتب مؤنس الرزاز، فلا شك أنّه من الكتّاب الأردنيين الذين تركوا بصمات في مسيرة الكتابة الروائية الأردنية، فهو من أبرز الكتّاب في فترة الثمانينات وحتّى نهاية القرن الماضي، وقد حظيت كتاباته بالاهتمامات النقدية والدراسات الأكاديمية والتقارير الصحفية والمحافل والندوات الثقافية، ومن هذه الاهتمامات نذكر على سبيل الاستشهاد:

- دراسة عبدالله رضوان بعنوان: أسئلة الرواية الأردنية دراسة في أدب مؤنس الرزاز 1991
- دراسة نوال مساعدة: البناء الفني في روايات مؤنس الرزاز (رسالة ماجستير) 1998
- دراسة قتيبة الحباشنة: الغائب المحكي، دراسة في أدب مؤنس الرزاز السياسي 2008

إضافة لعديد الدراسات التي تناولت عملاً أو أكثر من أعمال مؤنس الرزاز، والتي يصعب ذكرها في هذا الإطار.

أمّا فيما يتعلق برواية ليلة عسل؛ فقد تناولها إبراهيم خليل بالدرس النقدي، وقد جاءت بعنوان (ليلة عسل آخر روايات مؤنس الرزاز) وهي دراسة مفارقة للدراسة الحالية من حيثُ المنهجية والأسلوب، ولهذا فقد جاءت الدراسة الحالية وفق متطلباتها إلى عناوين فرعية هي:

- عصور الفلسفة والفلسفة اليونانية
- هيراقليطس وفلسفته
- أثر هيراقليطس في رواية ليلة عسل من خلال فلسفته التغير والثبات (السيلان الدائم)

أولاً: عصور الفلسفة والفلسفة اليونانية

إنّ تحديد البداية الأولى لعصر الفلسفة كافة أمرٌ ليس يسيراً، وقد اختلف المؤرخون في تحديد نشأتها، غير أنّهم وضعوا زمناً يكاد ينحصر بخمسة وعشرين قرناً، مرّت فيه الفلسفة بمراحل نجملها بالتالي:(1)

1- المرحلة القديمة والتي تمثلها الفلسفة اليونانية والتي تنقسم إلى عصرين هما:

- العصر الهلليني: وهو اليوناني الخالص وفيه المرحلة الطبيعية، والمرحلة الإنسانية، ومرحلة الأنساق الفكرية المتكاملة.
- العصر الهللينستي: وهو العصر الذي امتزجت فيه الأفكار اليونانية بالأفكار القادمة من حضارات الشرق القديم وفيه مرحلتان هما: المرحلة الهللينستية، والمرحلة الهللينستية والرومانية.

2- مرحلة العصور الوسطى (المسيحية والإسلامية)، وقد اهتمّ فلاسفتها بالتوفيق بين الفلسفة والدين.

3- مرحلة العصر الحديث، وقد اهتمّ فلاسفتها بمشكلة المعرفة.

4- المرحلة المعاصرة بتياراتها المختلفة.

ثانياً: هيراقليطس وفلسفته

تشير الدراسات أنّ هيراقليطس "ولد في مدينة أفيسوسبأيونيا من أعمال آسيا الصغرى حوالي عام (535 أو 540 ق.م) عرفت هذه المدينة باشتغالها بالتجارة وزادت شهرتها بعد قضاء الفرس على ملطية حوالي (494 ق.م)" (2)، ومما يعرف عنه أيضاً أنّه ينحدر من أسرة ملكية ذات حسب ونسب، وكان ذو نظرة ونزعة عالية (ارستقراطية) يعتد بنفسه ويشعر بالعظمة والكبرياء، وحتّى وصل به الأمر إلى الغلو والإسراف، وقد كان يعد نفسه من طينة غير طينة البشر" (3)، إضافة إلى أنّه انتقد من سبقوه (أكسانوفان وفيثاغورس)، ونظر إلى هوميروس إنّه يجب أن يطرد ويجلد بالسياط ويخرج من سجل الشعراء، ومما يذكر عنه أنّه انتقد ديمقراطية أفسيوس حيثُ يقول: "يجب أن يحارب الناس من أجل قانونهم، وأن يدافعوا عن أسوار مدينتهم" (4)، أمّا أثاره الأدبية فلم تذكر المدونات التاريخية والدراسات الأدبية سوى كتاب واحد بعنوان (حول الكل ، في الطبيعة) وقد وُصف على أثره بالغامض أو الملغز، ويردون سبب هذه التسمية إلى طبيعة العصر الذي كان يعيشه هيراقليطس، إذ إنّه كان عصر حروب وثورات مستمرة، بهذا يحتل هيراقليطس (heraclitus) مكانة بين الفلاسفة اليونان القدماء، وقد عدّه بعض المؤرخين أحد الطبيعيين الأوائل ولم يقتصر تأثيره على اتجاه احد فقط؛ بل أثر في كل المذاهب سواءٌ أكانت مادية أو مثالية أو إلحادية أو دينية، أمّا فلسفته فيمكن أن نوجزها بالنقاط التالية: (5)

1- التغير المستمر والصيرورة (السيلان الدائم)

2- صراع الأضداد وائتلافها

3- النار كمقوم مادي للأشياء

4- النفس الإنسانية

5- النزعة الدينية والأخلاقية

6- اللوغس

7- المعرفة

وما يهمنا في هذا البحث هو فلسفة التغير المستمر والصيرورة (السيلان الدائم)، حيث تجلّت ملامح هذه الفلسفة في رواية ليلة عسل من خلال شخصية جمال بيك التي سيأتي الحديث فيها لاحقاً، ولكن قبل ذلك نشير إلى فلسفة التغير المستمر التي تبناها هيراقليطس.

قال سقراط عن مؤلف هيراقليطس (في الطبيعة) إن ما فهمه منه رائع وما لم يفهمه منه أيضاً رائع بالمثل" (6)، إنّ هذه المقولة لا شك أنّها تفسير لفلسفة هيراقليطسوأسلوبه الذي جعل منه فيلسوفاً غامضاً أو ملغزاً كما وصفه الفلاسفة بعده، ولعلّ من الخسارة التي طالت الكتب الفلسفية اليونانية فقدان كتاب هيراقليطس في الطبيعة الذي لم يبق منه سوى شذرات لا تتجاوز (130) شذرة، تعد هذه الشذرات ضوءاً أنارت فلسفة هيراقليطس وحياته رغم غموضها وإبهامها، ولعلّ فلسفة هيراقليطس في التغير المستمر والصيرورة إنما عرفت من خلال تلك الشذرات، فهو يقول:

- " لا يمكنك أن تنزل مرتين في النهر نفسه لأنّ مياهها جديدة تغمرك باستمرار"
- "تتجدد الشمس كل يوم"
- " الأشياء الباردة تصير حارة، والحارة تصير باردة، ويجف الرطب ويصبح الجاف رطباً"
- " إننا ننزل ولا ننزل النهر الواحد، إننا نكون ولا نكون" (7)

لعلّ هذه الشذرات التي وصلت إلينا من كتاب هيراقليطس (في الطبيعة) كانت إذعاناً منه لرسم فلسفته في التغير المستمر وعدم الجمود، فما يعرف عن هذه الفلسفة أنّها سِمت الوجود في هذا العالم الطبيعي.

ثالثاً: ملامح فلسفة التغير والثبات (السيلان الدائم) لهيراقليطس في رواية ليلة عسل

صدرت رواية ليلة عسل للكاتب الأردني مؤنس الرزاز(8)عام 2000 وقد جاءت في إحدى وسبعين صفحة من القطع المتوسطة، وقد تميزت هذه الرواية عن غيرها من روايات الكاتب في جوانب متعددة، لعلّ من أبرزها التكثيف واختصار السرد " فقد ركّب المؤلف روايته هذه من عناصر ينتظمها التركيز والتكثيف في الحدث والأشخاص والحبكة والمكان والزمان واللغة مضيفاً عليها الكثير من الدعابة والفكاهة، مع الكثير من مظاهر التحليل السيكولوجي للشخوص" (9)، وتعد هذه الرواية آخر ما كتب الرزاز من أعمال روائية.

تدور أحداث الرواية حول شخصية جمال بيك رجل الأعمال المحترم الذي تراوده ظنون داخلية وأفكار وأحاسيس أنّه أصبح مثل زائدة دودية لا تصلح لشيء سوى الاستئصال، فحياته مستقرة دون مشاكل سواء في الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو الفكري حتّى، فهو يسكن في بيتٍ فخم في عمّان الغربية، ويمتلك شركة كبيرة قضى نحو ربع قرن في تنمية مداخيلها وفروعها حتّى أصبحت راسخة كالطود، فسلّم ابنه إدارتها أمّا ابنته فقد تزوجت واستقرت مع زوجها، وأمّا زوجته فهي مشغولة بأعمالها فهي عضو هيئة إدارية في جمعيتين ورئيسة جمعية ثالثة، ولا تعود إلى البيت إلا بعد انقضاء النهار، لتجلس أمام التلفاز لساعات قليلة ثمّ تخلد للنوم.

هذه هي حياة جمال بيك مع أسرته، وهذا ما جعله يشعر بأنّه قريب الأجل أو أنّه زائدة دودية في البيت تنتظر استئصالها، عندها قرّر أن يتخلص من هذا الروتين الحياتي وهذا الاستقرار لأنّه رأى في الاستقرار موت وإنما الحياة بالتغير المستمر، فوجد أنّ الزواج خير علاج لهذا المرض – تجاوزاً قلت المرض- ورسى الأمر على لارا ابنت الجيران، فتزوجها سرّاً وقضى شهر العسل في باريس بحجة أنّه ذاهب في رحلة علاجية، ولكن تدور الأحداث بسرعة وسرعان ما يعودان إلى عمّان وينفصلان جرّاء رسائل حب وجدها جمال بيك مع لارا كانت قد احتفظت بها من ابن الجيران، إضافة للحدث الأقوى الذي ساهم بشكلٍ كبير في تعجيل الطلاق وهو شعور جمال بيك بالخذلان والخسارة جرّاء الليلة التي قضاها مع بائعة الهوى في أحد مقاهي باريس وعدم مقدرته على اجتذاب لارا، يقول الراوي: " عبثاً

يحاول جمال بيك اجتذاب الفتاة وحملها على الاهتمام به، والإقبال عليه إقبالاً كذلك الذي يتمناه، ليثبت لنفسه أنّــه يبــدأ حياة جديدة. وعندما لم يستطع برغم كل الأساليب التي توسل بها بما في ذلك البكاء والانكباب على قــدميها بــالقبلات، حاول اغتصابها قسْراً، ولكن رعب المفاجأة أغدق عليها قوّة جبارة فبدت مثل حصن منيع تتهاوى إزاءه قوة جمال بيــك الذي يحس بشعور الفارس المتعد المتغرس حيثُ يهزمه طفل صغير، وينتصر عليه من الجولة الأولى" (10).

هذه هي قصّة جمال بيك باختصار، وهي القصّة الرئيسة للرواية " فالقصّة هنا تقوم على وحدة الحدث، وإن بــدا للقارئ أنّه حدثٌ ممتد بتعدد المراحل، فما جرى فيها مرتبط بتلك الليلة التي أخفق فيها جمال بيك في فتح صفحة جديدة، أو البدء بقصّة جديدة تتضاف إلى سيرته الأولى" (11).

تظهر أثر الفلسفة الهيراقليطية في رواية ليلة عسل من خلال شخصية جمال بيك، الذي حاول أن يغير مجــرى حياته والخروج من دائرة الثبات إلى التغير والاستمرار، ولعلّ زواجه من لارا دليلٌ على ذلك التغير، وهو ما يصب في روح الفلسفة الهيراقليطية، فقد لقّب هيراقليطس بفيلسوف التغير، ولعلّ ما يؤكد ذلك ما ورد في شذراته إذ يقول: (12)

- " السكون من التغير"
- " الحرب عامة لكل شيء، وأنّ التنازع عدل، وأنّ جميع الأشياء تكون وتفسد بالتنازع"
- " الأشياء تجد راحتها في التغير"
- "كل شيء يتغير ولا شيء يدوم على الثبات"

إنّ ما أوردناه آنفا من شذرات يؤكّد حقيقة الفلسفة عند هيراقليطس، ويعزز أثر تلك الفلسفة في رواية ليلة عسل، وتعد شخصية جمال بيك التي تتداخل مع الراوي كلي العلم أنموذجا جلياً لتلك الفلسفة التي أثّرت فــي مســار الروايــة وحركتها.

تقوم فكرة الفلسفة عند هيراقليطس– وأقصد هنا التغير والصيرورة – على الإيمان بأنّ الثبات موت وأنّ التغيــر هو جوهر الحياة، ولعلّ ما قام به جمال بيك من تغير في حياته على المستوى الأسري – الزواج من لارا- جعلت منــه شخصاً تدب فيه الحياة من جديد، وهو جوهر الفلسفة عند هيراقليطس " فطبيعة الأشياء متغيــرة بــرأي هيــراقليطس، وجوهر الحياة ناشطٌ، والكون صيرورة والعالم مجموعة من الأشياء الداخلة في دوامة الوجود، هكذا كان يفهم العالم، كل ما يتحرك يعيش وكل ما يعيش يتحرك، فالسكون والراحة هما من صفات الأموات" (13). لا شك أنّ ما قدّمه الــرزاز في هذه الرواية يعد طرحاً جديداً وفلسفة ذات تشكيل خاص، تنم عن ثقافة واسعة ومرجعية معرفية في تــاريخ الأمــم والحضارات.

أشرت في موضع سابق من هذا البحث أنّ الفلسفة الهيراقليطية تقوم على مبدأ التغير والصيرورة، وقــد مثّلــت شخصية جمال بيك محوراً وأساساً في تدعيم هذه الفلسفة في الرواية، وحريٌ بنا الآن الولــوج إلــى أعمــاق الفلســفة الهيراقليطية لنبين أثراً آخراً من أثار تلك الفلسفة في الرواية، فحقيقة الفلسفة عند هيراقليطس تقوم على تعاصر الوجــود واللاوجود، ومعنى ذلك " أنّ الوجود واللاوجود حقيقيان على السّواء، فهما صادقان ومتمثلان فالصيرورة هــي ذاتيــة الوجود واللاوجود فالصيرورة ليس لها إلا شكلان هما قيام الأشياء وانقضاؤها، بدايتها ونهايتهــا، انبعاثهــا وانحلالهــا" (14). ومعنى ذلك أنّ التغير والصيرورة لا ينفي السكون (الثبات) بشكلٍ مطلقٍ، وإنما ينفيه بشكلٍ نسبي وغير مطلــق، وهذا ما حدث مع شخصية جمال بيكفي الرواية، فرغم ما قام به من تغير إلا أنّه لم يدم إلا لفترات ليعود إلى الســكون مرّة أخرى، فقد نفى التغير الثبات في حياة جمال بيك بنسبةٍ ما ومن ثم عاد السكون إليه " وروحية المذهب الهيراقليطي تقول إنّ الحركة والسكون، من حيثُ هما ضدان، يفترض الواحد منهما الآخــر(إنهمــا ضــدان) وهمــا مثــل كــل المتعارضات، يلغي الواحد منهما الآخر بشكلٍ نسبي فقط وغير مطلق، إذا كان شيء ما يرتاح وهو يتغير ينتج من ذلك أنّه يتغير في السكون، وإذا كانت الحركة تلغي السكون بشكل مطلق علماً أنّ هذا السكون نسبي، فإنّ الأشياء تصبح غير

ثابتة أبداً، وبالتالي فير محددة إطلاقاً، ونحن لا نستطيع معرفتها ولا حتّى الحديث عنها" (15)، من هنا لم تعدم شخصية جمال بيك السكون المطلق ولا التغير المطلق، وإنما حضر التغير في السكون في الشخصية الواحدة، فقد بدأت شخصية جمال بيك ساكنة تشعر بالملل وقرب الأجل فسعى إلى التغير والصيرورة ولكنها لم تدم إلا لفترة قصيرة، ليعود السكون مرّة أخرى، ولهذا فقد قامت الرواية على سلسلة من المفارقات " فقد بحث جمال بيك عن طفلة صغيرة بلا ماضٍ ليكتشف أنّ ماضيها حافل بما لا يحفل به ماض امرأة في الثلاثين، ويذهب إلى باريس لبدء قصّة جديدة في حياته، وإذا به يعود منها واثقاً من أنّ قصّته قد انتهت وعلى هذا فإنّ اتجاه الحدث في الرواية يسير حتماً نحو نهاية حادة. نهاية مأساوية، تعيد البطل إلى المرجع الذي انطلق منه إلى درجة الصفر" (16).

لعلنا نستطيع أن نوفق بين ما جاء من شذرات تعكس فلسفة هيراقليطس في متن الرواية من خلال رصد حركة السّرد وحديث الشخصية (جمال بيك) والراوي ومنها:

شذرات هيراقليطس(17)	حركة السّرد وحديث الشخصية في الرواية
• الأشياء تجد راحتها في التغير • تجد النفوس لذتها في أن تصير رطبة • إنك لن تستطيع أن تكشف حدود النفس حتّى لو سلكت إلى ذلك كل سبيل، وهكذا يكون عمق معناها • كل شيء يتغير ولا شيء يدوم على الثبات • الضد هو الخير لنا • سعادة الأنفس في أن تصبح رطبة	هل أرادت الأقدار أن تقتص منه حين جعلت حياته مستقرة وادعة؟ ولكن، كيف تتواطأ الأقدار عليه إذا كانت وفرّت له حياة مستقرة؟، إذن أين المشكلة بل قل ما هي المشكلة؟ انطلق صوت خفي من أعماقه وقال: هذي هي المشكلة بالضبط، إنك تعيش حياة مستقرة بلا مشاكل. من ذا الذي زعم أنّ الحياة المستقرة حياة مرغوب فيها؟ الحياة المستقرة يا عزيزي، حياة رتيبة، مملة، ولها نكهة الروتين" (18).
	لا فائدة ترجى من الشعور برثاء النّفس لا، أنا رجل لم يعرف الاستسلام أبداً في معارك حياته، ولم استسلم للقنوط، ولم استسلم...لكن معارك حياتك انتهت يا أستاذ جمال. استقرار حياتك تجل من تجليات الرتابة، والرتابة هي الضجر في حالة انتظار حاملة الخواء، والخواء حافلة تمضي في اتجاه واحد فقط، نحو محطة واحدة فقط: إنّها المحطة الأخيرة" (19). نعم. لا بدّ أن افتتح قصّة حياة جديدة، وما الغريب العجيب في ذلك؟ ألا يفلس الأثرياء، فيعمدون إلى إعادة إمبراطورية ثانية على أنقاض الأولى؟ لا لن أموت على فراشي كما يموت البعير، ثمّة حيز طويل عريض لبداية جديدة وقصّة أخرى تلي القصّة الأولى التي انتهت قبل أن ينتهي عمري . لن أتقاعد...." (20).

بهذا تتضح الملامح الهيراقليطية في الرواية وتتجلى في شخصية جمال بيك النموذج البشري، الذي سعى جاهداً إلى تغيير حياته والخروج من دائرة السكون إلى التحول والصيرورة، غير أنّ هذا التغير لم يعدم السكون في نفس جمال بيك، فقد بقي السكون مرافقاً له وحاضراً في نفسه وهو يعيش التغير والصيرورة، فبعد أن قضى رحلة شهر العسل في باريس، والتي عاش فيها مرحلة من التغير ومفارقة الروتين يعود مرّة أخرى إلى بيته، وهنا يقول الراوي ليبين عودة السكون إلى جمال بيك: نظر إلى زوجته نظرةً حزينة لم تخل من دلالة رثاء للنفس: لقد انتهت قصّة حياته قبل أن تنتهي حياته. لم يفلح في الشروع بصياغة قصّة جديدة يستمتع بها فلا تنتهي فصولها وأحداثها إلا عندما تنتهي حياته ويهبط في لحده. وهذه زوجته نضبت. فقدت القدرة على تجديد حياته. إنّها أشبه ما تكون بأخته. ها هي تجلس وتطالع مكتفية بنفسها. تسكن إلى نفسها، متهدلة الروح، مهلهلة الصدر، وبطنها الرخوية أعظم من كرشه الصغير الذي لا يكاد يُرى" (21).

نعم. هذه قصّة جمال بيك وقصّة الرواية – ليلة عسل- فقد اتّصفت هذه الرواية بصفاتٍ جعلت منها مغايرة لنتاج الكاتب، وقد أشرت إلى ذلك سابقاً، لكن ما يحتضنه النّص يبقى خفياً، ولا شك أنّه يتجدد بتجدد القرّاء وأحسب هنا أنّ

هذه القراءة الجديدة قد وقفت إلى مكنون خفي تمثّل في أثر الفلسفة اليونانية القديمة (فلسفة هيراقليطس) التغير والصيرورة، وقد حاولت بيان هذه الفلسفة من خلال الربط والمقارنة بين ما خلّفته شذرات هيراقليطس وبين ما تبعته حركة السّرد ورسم الشخصية لاسيما شخصية جمال بيك بطل الرواية وراويها في أغلب الصفحات، ولهذا فقد ترك الفكر الهيراقليطي أثراً في الرواية من جانبين:

1- الفكر الهيراقليطي الظاهر (فلسفة التغير والثبات): وقد تمثّل في سعي جمال بيك في تغيير حياته بالزواج من لارا بنت الجيران.

2- الفكر الهيراقليطس الباطن: وهو أن التغير والصيرورة لا يعدم الثبات وينفيه مطلقا، وإنما جوهر التغير والصيرورة في أن يُغيب السكون ولا ينتفي، ولهذا تتضح مقولة: " النهر مختلف كل مرة، لأنّه يتلقى مياهاً جديدة باستمرار ولا يمكن الدخول إليه مرتين، ولكن هذا لا يستتبع أبداً أنّ النهر الذي زلنا فيه للمرة الثانية ليس النهر الذي كنّا فيه في المرة الأولى بشكلٍ مطلق، فمجراه وضفافه هي نفسها، وبكلام آخر، فإنّ شيئاً ما يبقى تقريباً ما كان عليه وليس آخراً، مادام موجوداً، وبفضل ذلك يمكن تعريفه" (22).

تتجلى حقيقة هذه المقولة في أنّ شخصية البطل (جمال بيك) الذي حاول أن يغير في مجرى حياته المستقرة، ليتخللها بعض الشوائب والمشاكل حين رأى أنّ حياة الاستقرار موت وسكون، وإنما الحياة بالتجدد والصيرورة، ولكن رغم ما قام به جمال بيك –وأقصد هنا الزواج من لارا- غير أنّه عاد مرّة أخرى إلى النقطة التي بدأ منها ليستسلم في النهاية لحياته الأولى ساعياً فيما بعد إلى الخوض في تجربة أخرى قد لا تكون زواجية ويكون الهدف منها فقط السعي إلى دب الحياة في روحه من جديد والتّخلص من روتينية الحياة التي يعيشها، وهنا تكمن حقيقة النهر الذي سينزل إليه جمال بيك، فالنهر هو جمال بيك والمياه التي تجري فيه هي تجارب الشخصية وسعيها المتواصل في أيجاد قصّة أخرى تشغلها ولو بعض الوقت، فقد مثّلت الأفكار التي كانت تراوده أنموذجاً جلياً لحركة المياه في النهر فها هو يقول في حديث نفسه: " هذه ليست نهاية العالم والحياة، بوسعك إن تزجي ضجرك بلعب طاولة الزهر مع ثلّة من معارفك. وبوسعك إن شئت أن تختار هواية من شأنها تبديد ضجر انتظار الموت كأن تسافر وتروح عن نفسك بين الحين والآخر، وإذا أردت القيام بمشروع جديد، فلا بأس من البحث عن هواية جديدة تشغلك، جمع الطوابع مثلاً. زيارة الأماكن الأثرية، التقاط صور فوتوغرافية فنية" (23).

بهذا تتضح فلسفة هيراقليطس في الرواية، فالأضداد تتطابق إلى حدٍ ما عند هيراقليطس، فما هو بينهما ليس مجرد وحدة، بل هو أيضاً تماهي، هو يعبر عن هذه الفكرة بصورة محيط الدائرة التي تتطابق بدايتها ونهايتها في أيّ نقطة منها" (24).

خاتمة

لقد انفردت رواية ليلة عسل عن غيرها من روايات مؤنس الرزاز في جوانب منها التكثيف واختصار السّرد، إضافة لملمح هام قامت عليه الدراسة الحالية وهو استحضار الفلسفة اليونانية القديمة ممثلةً بفلسفة هيراقليطس فيلسوف التغير والصيرورة، وقد تمثّل ذلك برسم شخصية رجل خمسيني أراد أن يواجه الموت المبكر باصطناع حوادث جديدة في حياته يتخلص فيها من شعوره المزعج بأنّه أصبح كالعجزة المكومين على الأرائك ينتظرون موتهم الطبيعي، فخاض قصّة جديدة بالزواج من لارا لعلّها- القصّة- تعيده إلى شبابه، ولكن هيهات هيهات، فقد عاد جمال بيك إلى نقطة الصفر التي بدأ منها بعد أن كانت تجربته الزواجية فاشلة، وهنا تظهر الملامح والأثار الفلسفية الهيراقليطية في حياة جمال بيك في سعيه الدؤوب إلى الخوض في قصص جديدة تخلّصه من هذا المرض الروتيني الذي يخيم على حياته، ويجعل منه إنساناً ميتاً وقصّة رجل انتهت حياته قبل أن يموت.

الهوامش:

1-الكيلاني، محمد جمال، الفلسفة اليونانية أصولها ومصادرها ج1، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الأسكندرية، 2008 ص ص 13 -16

2- عطيتو، حربي عبّاس، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية 1992 ص 61

3- أمين، أحمد، نجيب، زكي، قصّة الفلسفة اليونانية، دار الكتاب المصرية، القاهرة 1935 ص 53

4- نقلاً عن عطيتو حربي عبّاس، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ص 62

5- المرجع نفسه ص ص 65- 84

6- إسبر، علي محمد، الوجود ومفسروه (من هيراقليطس إلى بديع الكسم)، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق 2004 ص 13

7- النشار، مصطفى، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (السابقون على السوفسطائيين) ج1، دار قباء، القاهرة 1998 ص 138

8- مؤنس الرزاز كاتب وروائي أردني ولد عام 1951 في مدينة السلط وتوفي عام 2002، وهو ابن المناضل منيف الرزاز، له العديد من الأعمال الروائية وقد دارت حوله العديد من الدراسات النقدية والرسائل الجامعية والمقالات الصحفية

9- خليل، إبراهيم، ليلة عسل آخر روايات مؤنس الرزاز مقاربة في ضوء المنهج الشكلي، مجلة أفكار، عـدد163، 2002 ص 36

10- الرزاز، مؤنس، ليلة عسل عن الرجل الذي انتهت قصّة حياته قبل أن يموت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيـروت، 2000 ص ص 54-55

11- خليل، إبراهيم، ليلة عسل آخر روايات مؤنس الرزاز ص ص 32-33

12-الكيلاني، محمد جمال، الفلسفة اليونانية ص 156

13- كيسيريس، ثيوكاريس، هيراقليطس جذور المادية الديالتيكية، ترجمة حاتم سلمان، دار الفارابي، بيروت، 1978 ص 154

14-ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2005 ص 59

15- كيسيديس، ثيوكاريس، هيراقليطس جذور المادية الديالتيكية ص ص 155- 156

16-خليل، إبراهيم، ليلة عسل آخر روايات مؤنس الرزاز ص 34

17- وردت هذه الشذرات في مجموعة من الكتب نوجزها بالتالي: علي سامي النشّار وآخرون، هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1969 ص ص 76- 77/ محمد جمال الكيلاني، الفلسـفة اليونانيـة أصـولها ومصادرها (مرجع سابق) ص 156/ مصطفى النشّار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (مرجع سـابق) ص 139/ حربي عبّاس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان (مرجع سابق) ص 73/ أحمد فؤاد الأهواني، الفلسفة اليونانيـة قبـل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954 ص ص 106- 109

18- الرزاز، مؤنس ص 7

19- الرزاز، مؤنس، ليلة عسل ص 14

20- المصدر نفسه ص ص 16- 17

21- الرزاز، مؤنس، ليلة عسل ص 67

22- كيسيديس، ثيوكاريس، هيراقليطس جذور المادية الديالتيكية ص 156

23- الرزاز، مؤنس، ليلة عسل ص ص 14- 15

24- كيسيديس، ثيوكاريس، هيراقليطس جذور المادية الديالتيكية ص 157

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

الرزاز، مؤنس، ليلة عسل عن الرجل الذي انتهت قصة حياته قبل أن يموت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000

ثانياً: المراجع

1- إسبر، علي محمد، الوجود ومفسروه (من هيراقليطس إلى بديع الكسم)، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق 2004

2- أمين، أحمد، نجيب، زكي، قصّة الفلسفة اليونانية، دار الكتاب المصرية، القاهرة 1935

3- الأهواني، أحمد فؤاد، الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954

4- خليل، إبراهيم، ليلة عسل آخر روايات مؤنس الرزاز مقاربة في ضوء المنهج الشكلي، مجلة أفكار، عدد163، 2002

5- ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيــروت، ط2، 2005

6- عطيتو، حربي عبّاس، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية 1992

7- كيسيريس، ثيوكاريس، هيراقليطس جذور المادية الديالتيكية، ترجمة حاتم سلمان، دار الفارابي، بيروت، 1978

8- الكيلاني، محمد جمال، الفلسفة اليونانية أصولها ومصادرها ج1، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الأسكندرية، 2008

9- النشّار وآخرون، علي سامي، هيراقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1969

10- النشار، مصطفى، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (السابقون على السوفســطائيين) ج1، دار قبــاء، القــاهرة 1998